



الفصل الأول

طبيعة العولمة

أولاً- طبيعة العولمة

بدأ مفهوم العولمة منذ أواخر التسعينات من القرن الماضي، وظل شائعاً حتى اليوم وجاء نتيجة لمجاذلات في العلوم الاجتماعية بالإضافة لاستخدام وتضمن السياسيين هذه الرؤى بعيداً عن بعض حكومات اليسار.

ونستطيع القول إن أي محاولة لمقاومة العولمة سوف تعود بالفشل أو سوف يكون مصيرها الفشل. وبالفعل أصبحت العولمة مفهوماً ذا أهمية اقتصادية وسياسية وثقافية يدخل في نطاقها الفرد والمجتمع والعالم كله، وقد توجد بعض الآراء المتصارعة تجاه العولمة ومن هذه الآراء:

- 1) كابستين *Kapstein, 1996* « قال إن كل عصر يعرف العولمة بتعريف مختلف».
 - 2) البنك الدولي *World Bank, 1995* «إن العولمة أمر محتوم لا مفر منه».
 - 3) كارنت وكاناف *Barnet & Caranagh, 1994* « قال إن العولمة كلمة مطابقة وأنيقة لاتباع الزي الحديث في التسعينات».
 - 4) وسيس *Weiss, 1998* العولمة فكرة كبيرة يظل تأسيسها هامشياً.
 - 5) هرست وتومبسون *Hirst & Thempson, 1996* العولمة أسطورة في العالم تتبع دون أي انتقادات لتكون أملاً في تحقيق ما نأمله.
- وعلى الرغم من تلك الاختلافات العديدة في الآراء، لكن يتفق معظم الكتاب على وجود شيء جديد يحتل مكانات في العالم اليوم.

ويمكن تحديد العمليات الرئيسة للعولمة في:

- 1) تعتبر العولمة زيادة وتعمقاً في فكر المجتمعات في مختلف أنحاء العالم.
- 2) تتعلق بنقل الأخبار الثقافية في أنحاء العالم.

- (3) زيادة في نشاط الشركات متعددة الجنسيات.
- (4) تركيز على النمو الاقتصادي وزيادة فرص هذا النمو في أقطار عديدة.
- (5) صنع الثقافة العالمية.
- (6) سهولة تنقل وهجرة الأفراد بين المجتمعات ووسائل الاتصال الإلكتروني الذي يختصر الوقت والمسافات، وأن ما يحدث في أي مكان في العالم يراه الآخرون في الوقت نفسه في الأقطار الأخرى.
- (7) تدعيم فعالية الدولة القومية والمنظمات غير الحكومية.

ونناقش ذلك في خمسة بنود رئيسة وهي:

- 1 - تعريف العولمة.
 - 2 - أصل ونشأة العولمة.
 - 3 - طبيعة القوى المستخدمة.
 - 4 - تأثير العولمة على الدول.
 - 5 - اتجاهات العولمة المستقبلية.
- ولا يتضمن ذلك كل الرؤى لكل الكتاب عن العولمة، ولكنه يعد ذلك بمثابة اختصار مهم عن كل التفاصيل.

وعلى الرغم من أن هذا الكتاب يركز على تأثيرات العولمة على رعاية الإنسان فإن الاهتمام الأكبر ينصب على الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية للعولمة أكثر من الأبعاد السياسية والثقافية، ونستطيع القول أن التنوع النظري والعملي والأيدولوجي لهذه المناقشات والمجادلات لخلاصة البنود الخمس السابقة تجمع في أربع وظائف أساسية، وإن المناقشة المختصرة للاتجاهات للعولمة تتضمن بعض الاختصارات الزائدة ولكن لحسن الحظ فهي تجمع هذه الاتجاهات الأربع في شكل واضح يمكن توصيلها للقارئ. كما تعد محاولة أخرى لتتبع أصل هذه الوظائف والاتجاهات الأربع للأفكار الشائعة.

ثانيًا- التطور التكنولوجي:

(1) التعريفات

العولمة طبقاً لهذا الاتجاه تعني الزيادة والسرعة في نقل الاقتصاد العالمي، وظهر ذلك أثناء النصف الثاني من القرن العشرين كنتيجة للتكنولوجية المتقدمة واتحاد السوق الفردية، وتعمل الحكومة

على تحريك البضائع ورأس المال ليتحرك في عالم بلا حدود والأسواق العالمية أصبحت أكثر من أسواق الدول القومية.

أما عن وضوح تلك الكتابات لهذه المجموعة فيكون العالم بلا حدود - اقتصاد يوجد في مجالات تعمم حتى اليوم سواء أكان هذا في عمليات لتصبح حاضرة لبعض الوقت في المستقبل. (Held et. al. 1999).

(2) الأصول

عندما تتبع نشأة العولة يكون العرض شاقاً، ولكن هذه المجموعة من الكتاب يقضون مع ذلك القليل من الوقت في المناقشات حيث إن العولة ظهرت لإيجاد رؤية لعمليات 1945 (الحرب العالمية الثانية 1945م) نتيجة للأخبار التكنولوجية والاتصال المجتمعي ليصبح مجتمعاً رأسمالياً وأسواقاً عالمية تحكمها آليات تلك الأسواق.

تلك الأخبار التكنولوجية تتحرك يداً بيد لتطوير العولة أسواقاً ورأس مال.

وترجع جذور كل الاتجاهات النظرية للعولة في الماضي للتكنولوجيا المتقدمة التي أصبحت بشكل هائل من غير المتوقع ويعتبر ذلك سبباً في تطوير النظريات الاقتصادية منذ عقد الستينات وعقد السبعينات للأهمية التكنولوجية، وربما التطوير الأفضل يجب أن يكون أساسياً ومركزاً على التصنيع وخلال عقد السبعينات أصبحت تكنولوجيا التصنيع أكيدة وبالطبع التصنيع له تأثير في المجتمع. (Kerr et. al. 1973).

(3) القوى المؤثرة

تعد وسائل الاتصال التكنولوجية وبصفة خاصة الكمبيوتر القوى الرئيسة للعولة كما يحددها أصحاب هذا الاتجاه حيث الثورة المعرفية في النصف الثاني من القرن العشرين بالإضافة إلى رأس المال للأسواق الجديدة التي تضغط على الحكومات للتغيير التكنولوجي في الاتصالات.

وتعني ثورة المعلومات تصديراً دولياً للأسواق والتجارة العالمية للتكنولوجيا والمعلومات مع الامتداد الجغرافي المتسع، وبناء معلومات ومادة علمية تترجم في جميع أنحاء العالم وتؤثر جوانب العولة الاقتصادية والتكنولوجية على الأبعاد السياسية والثقافية حيث لا يوجد علاقة وظيفية بينهما كأساق فرعية في المجتمع.

(4) تأثير العولمة

تؤثر العولمة في هذا السياق على اختيار الظروف الاقتصادية، والقيم الاقتصادية، والعمل ورأس المال، والاستثمار.

كما تعد التكنولوجيا قوة لإيجاد التحديث الاقتصادي في المجتمع وتنميته فقد أوجدت العولمة عالمًا بلا حدود، عالمًا لم تعد تتحكم فيه الدولة في تنظيم الأنشطة الاقتصادية. ولهذا السبب أصبحت تقاليد الدولة أو الأمة غير طبيعية أو مستحيلة في تنظيم وحدات العمل.

وقد أشار (بيترسون 1996, Peterson) إلى أربعة أسباب توضح لماذا تعمل الدولة والأمة لزيادة سلطتها على القوة المتزايدة للأسواق العالمية؟

- 1 - الحقيقة التي تقول إن معدل الاقتصاد العالمي والنمو المالي في تزايد مستمر.
- 2 - إن أيام الأسواق الصغيرة أصبحت محدودة.
- 3 - قوة تدفق رأس المال التي تعمل على تزايد قدرات الحكومات القوية في التغلب على الضغوط التي تتوالد بشكل متزايد.
- 4 - أن الحكومات لم تعد قادرة على مواكبة مسيرة التكنولوجيا والمعلومات.

وعلى الرغم من تداخل هذه العملية فإن ما يهم الرفاهية القومية هو الطريقة التي تتم بها عملية السيطرة من جانب الحكومة.

وعلى الجانب الاجتماعي فإن الاتجاه العام لهذه المجموعة من الكتابات هو التأكيد على أهمية النتائج المرغوبة للعولمة، فقد بدت التغيرات الاقتصادية والسياسية والثقافية على أنها مفيدة للجميع في العالم وذلك لأنها تعمل على زيادة الإنتاج والنمو الاقتصادي وكذلك رفع مستويات المعيشة، فقد عملت على إيجاد مجتمعات ديمقراطية وذلك تبعًا للنظام العالمي، وعملت كذلك على تجميع البشر بلغة ثقافية واحدة.

(5) المستقبل

العولمة عملية لا تقاوم باعتبارها مفيدة لكل العالم والتي يجب أن يرحب بها لا أن تقاوم، فنحن نرغب أن نعيش في عالم من العولمة كامل ونتحرك بسرعة في اتجاه شؤون وأمر دولية، وسوف يكون عالم لم تفقد فيه الدولة قوتها وسيطرتها.

مما سبق فإن كلاً من الإنتاج والمال والتكنولوجيا والمصانع والمعدات يتحرك بلا جهد في اتجاه الحدودية، وفكرة الاقتصاد القومي أصبحت بلا معنى مثلها مثل الأمم والتنسيق القومي ورأس المال القومي والمنتجات القومية والتكنولوجيا القومية (Reich, 1991).

إن الدول القومية لم تختف ولكن فائدتها بالنسبة للمصطلحات الاقتصادية أنها سوف تحدد خلفية العولمة وهذا ما يجذب المستثمر الدولي (Friedman, 1999).

وفي النهاية تتعلق قوة هذا الاتجاه بمدى تحديده للطرائق التي أثرت بها التكنولوجيا والأسواق العالمية على طبيعة العمليات الاقتصادية.

أما عن نقاط ضعف هذا الاتجاه فتتمثل في تعريفاته للعولمة ووضعها في تعريفات ومصطلحات اقتصادية مبدئية مما أدى لوجود مزاعم كثيرة عن مدى انتشار العولمة في الوقت الحاضر.

أما عن الجانب التنبؤي لهذا الاتجاه: فإنه يجعل من العولمة فكرة تخلق عالمًا بلا حدود في المستقبل.

ثالثاً- الماركسيون المتشائمون: Marxisant Pessimists

ويتضمن مجموعة من الكتاب من مختلف درجات الوفاء للتقاليد الماركسية. وعلى الرغم من اختلافاتهم المتعددة فإنهم يتفقون على أن العامل الرئيس وراء العولمة يتمثل في الرأسمالية.

وفي خلال النصف الأول من القرن العشرين تبنى معظم الماركسيين فكرة الماركسية القائلة أن الرأسمالية سوف تؤدي إلى قوة حديثة حرة، وهذه الفكرة سوف تنتشر في العالم كله، وتعمل على إيجاد وحدات عمل قوية وتتغلب على الاستعمار والرأسمالية لإنشاء مجتمعات آدمية، وتسربت هذه الفكرة إلى المتفائلين وذلك عند إدراك أن انهيار الاستعمار في الخمسينات والستينات لم يؤدي إلى نتائج اقتصادية ولا اجتماعية مرغوبة.

وقد حاولت نظريات الاستقلال المتعددة ونظريات النظام العالمي أن تبين هذا الموقف الجديد، وقد كان الزعم الأساسي هو أن النظام العالمي الجديد لم يختلف كثيراً عن نظام عالمي استعماري قديم، فقد استمرت القوى السياسية والاقتصادية في السيطرة على الطريقة التي يعمل بها العالم، هذا وقد كانت النتيجة الأساسية للهيئات البنائية للعلاقات القوية في النظام العالمي هي فقر الدول النامية وثراء الأمم الغنية. وقد يعتبر الفقر والثروة وجهين لعملة واحدة.

وعلى الرغم من الاستقلال ونظريات النظام العالمي لم تتحدث عن العولمة إلا أن آراءهم شكلت الخلفية لنظرية العولمة للكتاب الماركسيين في التسعينات.

31 الفصل الأول: طبيعة العولمة

ففي بداية التسعينات وضع (Sklair, 1995) أن وظائف النظام العالمي التي حددت في ثلاث ممارسات أساسية وهي: (الثقافية والسياسية والاقتصادية) فإن كل واحدة من هذه الممارسات تتم السيطرة عليها عن طريق مؤسسة رئيسة والتي تعمل على توجيهها إلى العولمة.

(1) التعريفات:

هناك موافقة عامة على أن العولمة ليست ظرفاً أو ظاهرة وإنما عملية « هذه العملية تؤدي إلى آخر مرحلة من الرأسمالية أو الرأسمالية العالمية أو العولمة (Swezy, 1997) وإذا كان الاستعمار يعتبر آخر مرحلة من الرأسمالية فإن العولمة هي آخر مرحلة من الاستعمار.

أما عن التعريف النموذجي للعولمة الذي لاقى تأييداً عاماً فهو تعريف (Wilkin, 1996) فقد رأى أن العولمة يمكن أن تحدد على أنها عملية تحويل في النظام الرأسمالي العالمي.

(2) الأصول:

يوافق معظم الكتاب في هذه المجموعة على أن أصول وجذور العولمة مع بدايات الرأسمالية وذلك في أوروبا الغربية منذ 500 عام حيث انتشر النظام العالمي الحديث وكذلك الامتداد الاستعماري الأوروبي أو الانتشار التدريجي للإنتاج الرأسمالي حول العالم واحتلاله لكل العلاقات التي كانت تسبق الرأسمالية (Robinson, 1996).

وعلى الرغم من أن العولمة قد انتشرت بعمق خلال فترة ما بعد الحرب، وذلك بسبب الاختراعات التكنولوجية وكذلك انهيار الاتحاد السوفيتي فالسبب الأول عمل على عولمة رأس المال والأسواق المالية، أما السبب الثاني فقد عمل على ازدهار النظام الرأسمالي على البدائل الاجتماعية الأخرى.

(3) القوى المؤثرة:

لقد تمت صياغة الأسباب الرئيسة للعولمة في مستويين مختلفين، وتمثلت القوة المؤثرة على عملية العولمة في الرأسمالية، فقد تبنت اتجاهًا من أجل أن تنمو وتقوى وكذلك أن تشمل كل جوانب الحياة. أما على المستوى الثاني، فعلى الرغم من أن كل الماركسيين يتفقون على أن تنظيمات الاستهلاك والإنتاج والظروف المالية الجارية في النظام العالمي أصبحت من القوى المؤثرة على نظام العولمة، مثلها مثل العوامل الأيديولوجية كالقوى العاملة والاستهلاك التي أصبحت القوى الأساسية وراء عملية العولمة، وبالإضافة إلى المناقشة التي تضمنت القوى المؤثرة على العولمة فإن هناك مقالاً عظيمًا عن الطريقة والآليات التي تعمل بها هذه القوى وقد كانت فكرة عولمة رأس المال قد لاقت

تأييدًا واسعًا، ويشمل هذا الأمر قيادة الشركات متعددة الجنسيات والقادة السياسيون وكذلك رؤساء المنظمات الدولية والبنوك العالمية.

(4) تأثير العولة:

تتضمن آثار العولة على الرعاية الإنسانية آثارًا جيدة وأخرى سيئة وكذلك آثارًا مدمرة وذلك على المدى القصير والبعيد.

هناك اتفاق عام في هذه المجموعة أن العولة عملت على زيادة الفقر والحاجة والتهكم بأن علاج هذه الآثار السلبية هو المزيد من العولة. (Cox, 1997).

1 - لم تؤثر العولة على الجوانب المادية فقط على معيشة البشر ولكنها أثرت أيضًا على اتجاهاتهم وقيمهم، وكذلك سلوكهم، وكنتيجة لذلك فقد تم التأثير على جوانب الثقافة وكذلك على جميع أساليب الحياة.

2 - هناك انقسامات في الرأي حول ما إذا كانت العولة تؤثر على سلطة الدولة أم لا فقد صمم الماركسيون أن للعولة تأثيرًا، فما زالت الدولة هي المحور الأساسي لانتعاش رأس المال والاحتياجات المالية للدولة تعمل على المحافظة على الظروف التي تتم فيها دورة رأس المال وذلك للمحافظة على نظام القوى العاملة. (Wood, 1997). الذي وضح أن العولة ليست ظاهرة جديدة ولم تنتشر اليوم فقط، ولكنها انتشرت في الماضي وأنها فكرة جديدة للمناقشة، وأن العولة عملت على إضعاف تأثير الدولة، وهذه الفكرة تتجاهل القدرة التكنولوجية للدولة على تعظيم رأس المال، وكثيرًا من الماركسيين الآخرين يرفضون هذا التفسير، وذلك لأنهم يقبلون فكرة وجود العولة وإيجادها لموقف جديد من اقتصاد عالمي واحد وكذلك لأن العولة أضعفت من سلطة كل من الدولة والأمة ونظمت القوى العاملة.

ولكن بما أن رأس المال متحرك والقوى العاملة القومية بالطريقة نفسها التي كانت من قبل فقد فقدت القوى العاملة المنظمة قدرًا كبيرًا من أهميتها الاقتصادية والسياسية وحكم على استراتيجية الاعتماد وعلى الوحدة التقليدية للتغلب على الرأسمالية بالفشل.

هذا وتنوعت الخطط السياسية التي نبعت من التحليل الثاني، فبعضهم أكد على أهمية الحركات الاجتماعية وبعضهم الآخر أكد على دلالة الكفاح الدولي المنظم والعديد وضع أمله في تقوية وتعزيز القوانين التي تحكم القوى العاملة على المستوى العالمي، بينما بعضها الآخر اعتقد أن كفاح ونضال بعضها يجب أن ينقل من الدولة الصناعية المتقدمة إلى الدول الصناعية النامية حيث تعمل الطبقة كقوة ضد

الرأسمالية. أما عن الحياة الاجتماعية فقد تم تجاهلها من أي توضيح أو تفسير تحت الرأسمالية العالمية.
(Robinson, 1996).

(5) المستقبل:

يوافق الكتاب الماركسيون على أن نظام العولة سوف يستمر في المستقبل مع زيادة النتائج غير المرغوب فيها لسكان العالم، وتفهمهم الإستغلال والفقير والدمار البيئي وانحطاط المجتمع، وبذلك يظهر المجتمع على أنه غير قادر على الثورة الاجتماعية والإصلاحات الاجتماعية وبدلاً من ذلك يؤدي انقسام المجتمع إلى الانهيار الاجتماعي وهذا ما سيحدث بالفعل في المستقبل
(CoX, 1997).

وتأتي مصادر قوة هذا الاتجاه على إصراره على أن المنفعة الخاصة هي الدافع الأساسي للعولة، وكذلك إدراكه أن العولة قد أثرت على التباين أما نقاط ضعف هذا الاتجاه فهي إهماله للعوامل الأخرى التي تؤثر على العولة وكذلك رفضهم أن للعولة آثاراً إيجابية وأخرى سلبية على مستويات المعيشة.

رابعاً- البراجماتيون:

(1) التعريفات:

يمثل هؤلاء مجموعة الكتاب الذين جعلوا من مفهوم العولة مساوئ للعلوم الاجتماعية في التسعينات.

وتعني كلمة العولة لديهم أنها عملية طويلة ومتنوعة ولها مستقبل يصعب التنبؤ به (Giddens, 1990).

فالعولة عرفت على أنها ترسيخ العلاقات الاجتماعية على مستوى العالم، فهذه الأحداث المحلية يمكن أن ترجع إلى أحداث تحدث بعيداً جداً، والعكس كذلك، ويمكن الإشارة إلى العولة على أنها ضغط العالم وكذلك شدة الوعي بالعالم ككل (Robertson, 1992)

(2) الأصول:

هناك انقاف عام على أن العولة لها تاريخ طويل ولكنها لم تدفع بقوة إلا قريباً خلال العشرين عاماً الماضية، وذلك بسبب تكنولوجيا المعلومات التي عملت على اختصار الوقت والقضاء غير المتوقع